أ ـ في العصر الجاهلي

مرّ النقد الأدبي القديم عند العرب بمراحل متعددة، منذ العصر الجاهلي إلى بداية العصر الحديث، فقد بدأ نقدًا انطباعيًّا جزئيًّا يصدر عن عفوية وانتهى إلى نقد منهجي معلل يقوم على قواعد وأسس ومعايير واضحة.

ملامح النقد الأدبي في العصر الجاهلي:

لقد وصل الشعر الجاهلي إلى درجة عالية من الجودة والإتقان على مستوى الشكل والمضمون، وتقتضي طبيعة الأمور أن يكون قد خضع لعملية طويلة من النقد، حتى وصل إلى ما وصل إليه من النضج بحيث أصبحت له تقاليده وسننه وأصوله الفنية، وبمعنى آخر عموده.

وكما أنّ الشعر الجاهلي لم يصل إلينا كاملا فإنّ كثيرًا من النشاط النقدي الذي واكبه وسار في ركابه قد فُقد أيضًا، نتيجة اعتماده في النقل على الرواية الشفويّة. إلا أنّ كتب الأدب والنقد قد نقلت كثيرًا من صور النشاط النقدي وأنماطه المختلفة في العصر الجاهلي، بحيث يمكننا أن نتعرف من خلالها أهم ملامح النقد في هذا العصر. فهو نقد يعتمد على الانطباع الفطري، والذائقة الشخصية، ينبّه على الأخطاء والتجاوز في اللفظ والمعنى، ويوازن بين الشعراء فيفضل بعضهم على بعض، ويتراوح بين إصدار الحكم على البيت أو البيتين من الشعر إلى الحكم على مجمل إنتاج الشاعر، يبدي الناقد استحسانه أو استهجانه دون تعليل أو تفسير.

على أن ملامح النقد في العصر الجاهلي تنسجم مع طبيعة حياة العرب آنذاك، فقد خضع النقد الجاهلي لعوامل مؤثرة منها:

ـ ثقافة الذين مارسوا النشاط النقدي: فقد كانت ثقافتهم محدودة، والنقد نشاط يعتمد على العقل والذوق فتأثر نقدهم بتلك الثقافة المحدودة.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

- سلامة فطرتهم، وأصالة مَلَكاتهم : فجلّ أحكامهم النقدية كانت تصدر من فطرة سليمة ومَلَكات نقدية أصيلة، فكانت أحكامهم تصدر على شكل عبارات نقدية شديدة الإيجاز ولمحات تعكسها صور حسيّة بعيدة عن التعليل والتفسير.

- اعتماد الحياة الجاهلية على المشافهة: وهذا لم يتح للملاحظات النقدية أن تتحول إلى نقد يعتمد على الأسس والمعايير الواضحة، وهو أمر يتسق مع طبيعة التطور المعرفي.

والمتتبع لنماذج النشاط النقدي في العصر الجاهلي يجد أنها تنحصر في الاتجاهات أو الألوان الآتية[1]:

- **نقد فني:** يعتمد على استحسان المعنى الشعريّ أو استهجانه، وعلى الربط بين الألفاظ ومعانيها وعلى نقد المعنى والأسلوب.

- **نقد لغوي:** يقوم على رصد الأخطاء اللغوية، وتجاوز الأعراف والتقاليد اللغوية.

- **نقد عروضي:** يقوم على رصد مخالفة الشاعر لقوانين العروض والقافية.

وقد نقلت كتب الأدب والنقد نماذج نقدية تصور مختلف أنماط النشاط النقدي عند الجاهليين، وتكشف عن بذور تَشَكُّل العقلية النقدية عندهم، وتبيّن أوّليّة الفكر النقدي لديهم، وتسجل إحساسهم الجمالي بالشعر، وتحفظ تاريخ ذائقتهم الشعرية.

أ- نماذج من النقد الفني:

حكومة أمّ جندب بين امرئ القيس وعلقمة بن عبدة:

تروي لنا كتب الأدب أنّ امرأ القيس (ت نحو٨٠ ق هـ) وعلقمة بن عبدة (ت نحو٢٠ ق هـ) تنازعا الشعر، وأنهما اتفقا أن تحكم بينهما أمّ جُنْدَب الطائية زوج امرئ القيس. "فقالت قولا شعرًا تصفان فيه الخيل على رويّ واحد وقافية واحدة . فقال امرؤ القيس:

خليليّ مرّا بي على أمّ جُنْدَبٍ لنقضي حاجاتِ الفؤادِ المعذّب

١- انظر: محمد إبراهيم نصر: النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، ٨٦-٩٣.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

و قال علقمة:

ذهبتَ من الهِجرانِ في كلّ مذهبِ ولم يَكُ حقًّا كلّ هذا التجنّبِ

ثم أنشداها جميعًا. فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك. قال: وكيف ذاك؟ قالت: لأنك قلت:

فللسوط ألهوب وللساق درة وللزجر منه وقع أهوج منعب(١)

فجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك، وقال علقمة:

فأدركهنّ ثانيًا من عِنانِه يمرّ كمرّ الرّائح المتحلّب(٢)

فأدرك طريدته وهو ثانٍ من عِنان فرسه لم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زجره. قال: ما هو بأشعر مني، ولكنك له وامق[٣]. فطلقها، فخلف عليها علقمة فسمي بذلك الفحل"[٤].

وعلى الرغم من أنّ هذه الصورة النقدية من أوائل ما روي من صور النشاط النقديّ في العصر الجاهلي إلا أنّه "لا يمكن أن تدل على النشأة الأولى للنقد؛ لأن هذا الحكم الذي أصدرته أم جندب قد تجاوز مرحلة الطفولة؛ لأنّ أمّ جندب عللت لحكمها، وبينت لماذا فضلت شعر علقمة على شعر امرئ القيس"[٥]. ورأى بعض الدارسين في هذا النقد "أنه يحكي مرحلة متقدمة من مراحل النقد الأدبي"[٦].

وإذا نظرنا في خبر حكومة أم جندب نجد أنه يحتوي العناصر الآتية:

١- ألهوب: من ألهب الفرس: اجتهد في السير حتى أثار الغبار وخرج من حافره الشرر. الزجر: الصياح بالفرس ليجري.

٢- ثانيا من عنانه: لوى وجهه ليا ليكفكفه عن سرعته.

٣- وامق: عاشقة.

٤- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٩٣. وانظر: أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ٨: ١٣٩.

٥- النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ٢٥-٢٦.

٦- المرجع نفسه، ٢٦.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

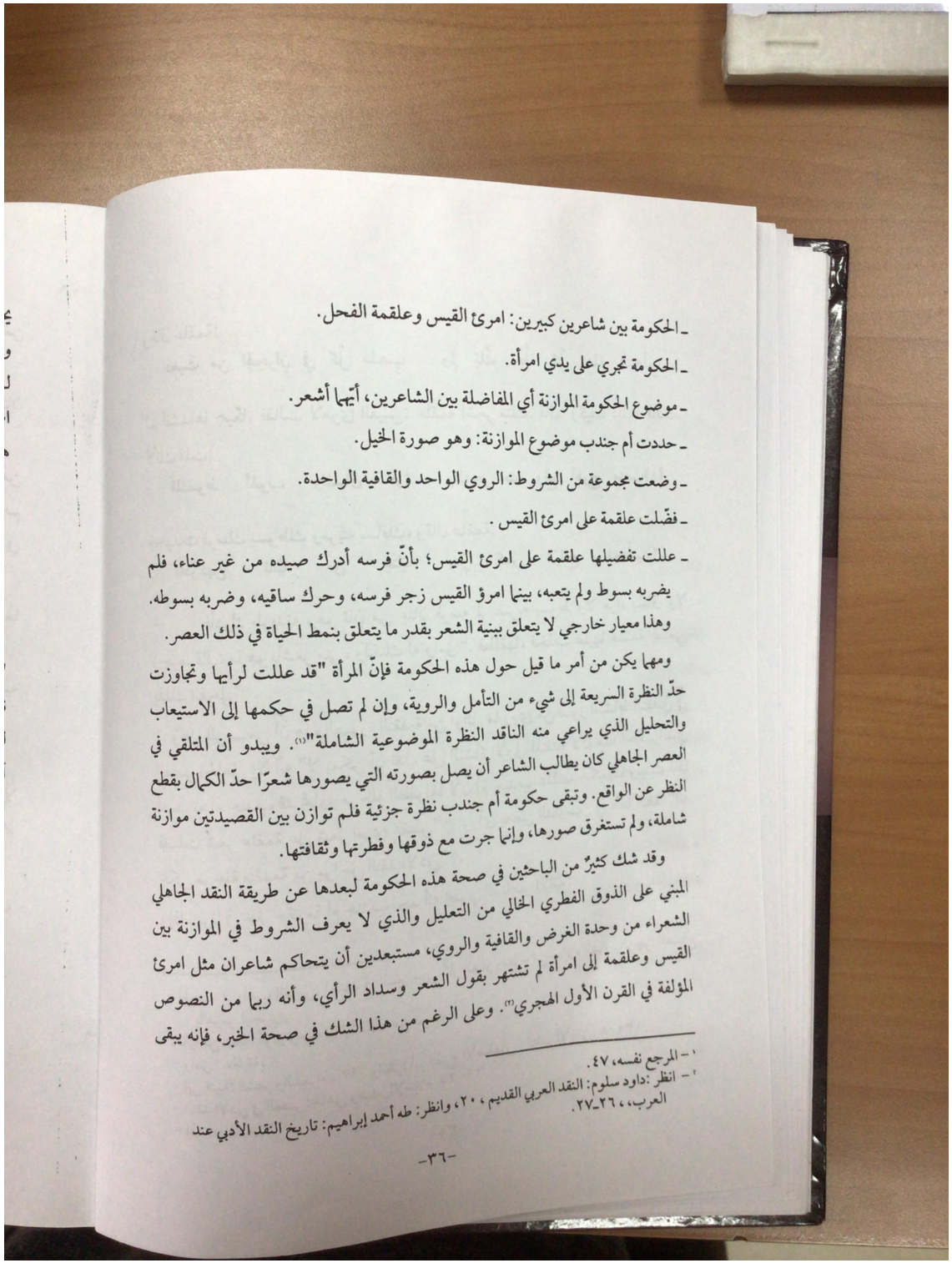

ـ الحكومة بين شاعرين كبيرين: امرئ القيس وعلقمة الفحل.

ـ الحكومة تجري على يدي امرأة.

ـ موضوع الحكومة الموازنة أي المفاضلة بين الشاعرين، أيّهما أشعر.

ـ حددت أم جندب موضوع الموازنة: وهو صورة الخيل.

ـ وضعت مجموعة من الشروط: الروي الواحد والقافية الواحدة.

ـ فضّلت علقمة على امرئ القيس .

ـ عللت تفضيلها علقمة على امرئ القيس؛ بأنّ فرسه أدرك صيده من غير عناء، فلم يضربه بسوط ولم يتعبه، بينما امرؤ القيس زجر فرسه، وحرك ساقيه، وضربه بسوطه. وهذا معيار خارجي لا يتعلق ببنية الشعر بقدر ما يتعلق بنمط الحياة في ذلك العصر.

ومهما يكن من أمر ما قيل حول هذه الحكومة فإنّ المرأة "قد عللت لرأيها وتجاوزت حدّ النظرة السريعة إلى شيء من التأمل والروية، وإن لم تصل في حكمها إلى الاستيعاب والتحليل الذي يراعي منه الناقد النظرة الموضوعية الشاملة"[1]. ويبدو أن المتلقي في العصر الجاهلي كان يطالب الشاعر أن يصل بصورته التي يصورها شعرًا حدّ الكمال بقطع النظر عن الواقع. وتبقى حكومة أم جندب نظرة جزئية فلم توازن بين القصيدتين موازنة شاملة، ولم تستغرق صورها، وإنما جرت مع ذوقها وفطرتها وثقافتها.

وقد شك كثيرٌ من الباحثين في صحة هذه الحكومة لبعدها عن طريقة النقد الجاهلي المبني على الذوق الفطري الخالي من التعليل والذي لا يعرف الشروط في الموازنة بين الشعراء من وحدة الغرض والقافية والروي، مستبعدين أن يتحاكم شاعران مثل امرئ القيس وعلقمة إلى امرأة لم تشتهر بقول الشعر وسداد الرأي، وأنه ربما من النصوص المؤلفة في القرن الأول الهجري[2]. وعلى الرغم من هذا الشك في صحة الخبر، فإنه يبقى

---

1 – المرجع نفسه، ٤٧.

2 – انظر :داود سلوم: النقد العربي القديم، ٢٠، وانظر: طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ٢٦ـ٢٧.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

يحمل ملامح النقد الجاهلي من حيث الموازنة بين القصيدتين والاحتكام إلى الفطرة والذوق، أما تعليل الحكم فيبقى من ضمن الأمور التي قد تلفت انتباه أي قارئ جيد للشعر وليس مستغربًا من امرأة نابهة أن يصدر منها مثل هذا الحكم المعلل. ثم إنها قد اضطرت لتعليل حكمها حتى تنفي عن نفسها شبهة التحيز التي تطعن في حكمها، ومع هذا فقد اتهمها زوجها بالتحيز لعلقمة فطلقها.

نشاط:

- ناقش موقف طه حسين من خبر حكومة أم جندب من خلال كتابه في الشعر الجاهلي.

ومن نماذج النقد الفني ما وصل إلينا من أخبار المفاضلات بين الشعراء: فقد روي أنه "تحاكم الزِّبْرِقان بن بدر (ت نحو ٤٥ هـ)، وعمرو بن الأهتم، وعَبَدَة بن الطبيب (ت نحو ٢٥ هـ)، والمُخبَّل السعدي إلى ربيعة بن حذار الأسدي في الشعر. أيهم أشعر؟ فقال للزبرقان: أما أنت فشعرك كلحم أُسِخن لا هو أنضج فأكل، ولا ترك نيئًا فينتفع به. وأما أنت يا عمرو، فإن شعرك كبُرود حِبَر يتلألأ فيها البصر، فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر. وأما أنت يا مخبل، فإنّ شعرك نقص عن شعرهم، وارتفع عن شعر غيرهم. وأما أنت يا عبدة، فإنّ شعرك كمزادة أحكم خرزها، فلا هي تقطر ولا تمطر"(١). ويمكن أن نحلل هذا الخبر على النحو الآتي:

- "كان الشعراء يتفاخرون بشعرهم ويتنافرون فيه كما يتنافر الأشراف في سؤددهم، فكانوا يعرضونه على المحكمين ليقضوا بينهم"(٢).

---

١ -المرزباني: الموشح، ٧٥. حبر: ضرب من برود اليمن، والمفرد حبرة. المزادة: الآروية ولا تكون إلا من جلدين تفأم بثالث بينهما لتتسع، والجمع مزاد ومزايد.

٢ ـ النقد، ٢٦.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

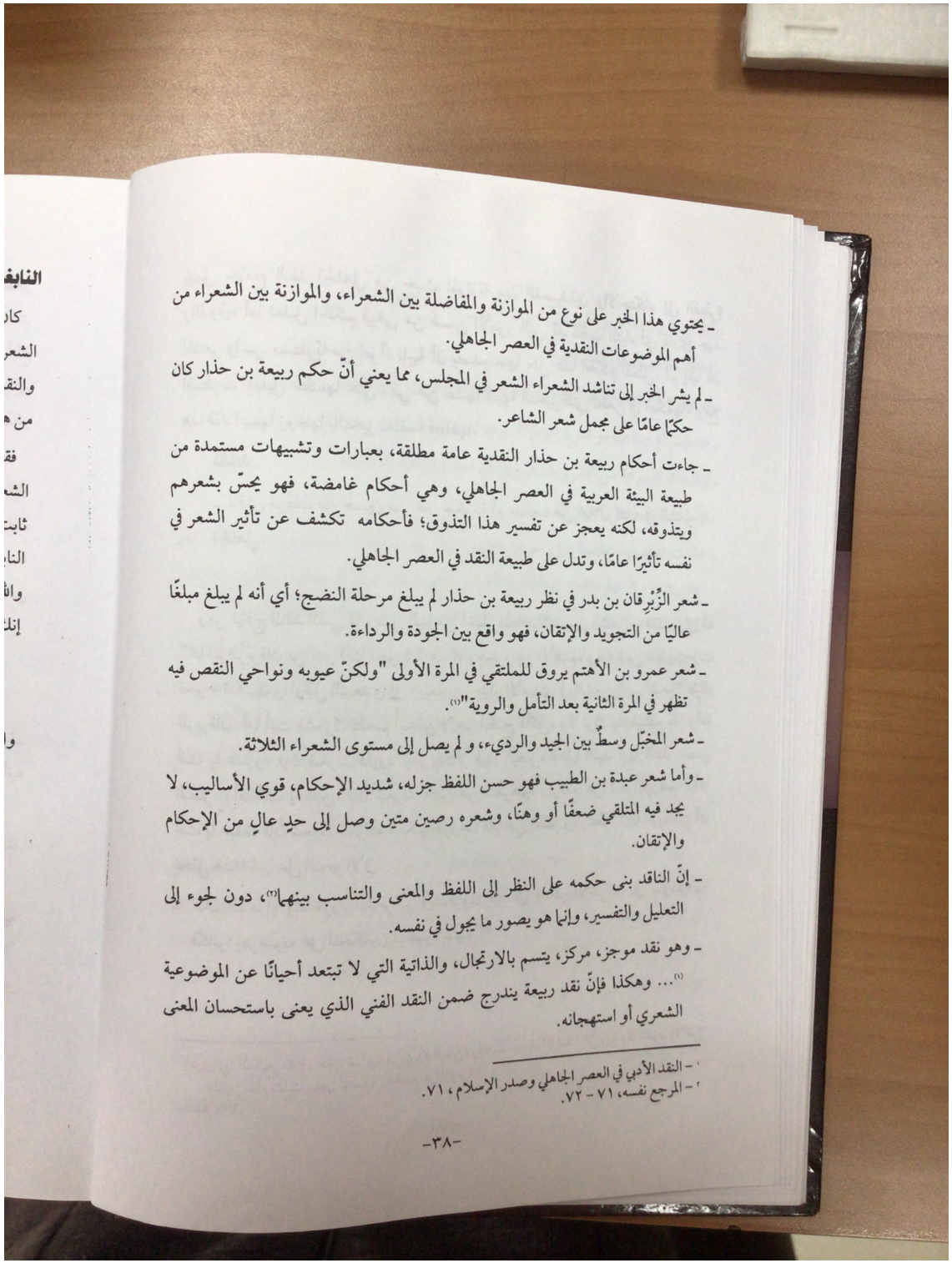

- يحتوي هذا الخبر على نوع من الموازنة والمفاضلة بين الشعراء، والموازنة بين الشعراء من أهم الموضوعات النقدية في العصر الجاهلي.
- لم يشر الخبر إلى تناشد الشعراء الشعر في المجلس، مما يعني أنّ حكم ربيعة بن حذار كان حكمًا عامًا على مجمل شعر الشاعر.
- جاءت أحكام ربيعة بن حذار النقدية عامة مطلقة، بعبارات وتشبيهات مستمدة من طبيعة البيئة العربية في العصر الجاهلي، وهي أحكام غامضة، فهو يحسّ بشعرهم ويتذوقه، لكنه يعجز عن تفسير هذا التذوق؛ فأحكامه تكشف عن تأثير الشعر في نفسه تأثيرًا عامًا، وتدل على طبيعة النقد في العصر الجاهلي.
- شعر الزِّبْرِقان بن بدر في نظر ربيعة بن حذار لم يبلغ مرحلة النضج؛ أي أنه لم يبلغ مبلغًا عاليًا من التجويد والإتقان، فهو واقع بين الجودة والرداءة.
- شعر عمرو بن الأهتم يروق للملتقي في المرة الأولى "ولكنّ عيوبه ونواحي النقص فيه تظهر في المرة الثانية بعد التأمل والروية"[1].
- شعر المخبّل وسطٌ بين الجيد والرديء، و لم يصل إلى مستوى الشعراء الثلاثة.
- وأما شعر عبدة بن الطبيب فهو حسن اللفظ جزله، شديد الإحكام، قوي الأساليب، لا يجد فيه المتلقي ضعفًا أو وهنًا، وشعره رصين متين وصل إلى حدٍ عالٍ من الإحكام والإتقان.
- إنّ الناقد بنى حكمه على النظر إلى اللفظ والمعنى والتناسب بينهما[2]، دون لجوء إلى التعليل والتفسير، وإنما هو يصور ما يجول في نفسه.
- وهو نقد موجز، مركز، يتسم بالارتجال، والذاتية التي لا تبتعد أحيانًا عن الموضوعية[3]... وهكذا فإنّ نقد ربيعة يندرج ضمن النقد الفني الذي يعنى باستحسان المعنى الشعري أو استهجانه.

---

١ - النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، ٧١.
٢ - المرجع نفسه، ٧١ - ٧٢.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

النابغة الذبياني في سوق عكاظ[1]:

كان للعرب في الجاهلية أسواق أشهرها عكاظ وذو المجنة وذو المجاز، يلتقي فيها الشعراء ومحبو الشعر، فينشد الشعراء ما لديهم من جديد، ويتلقاها المستمعون بالتعليق والنقد. وكان يجلس في هذه الأسواق علماء بالشعر للمفاضلة بين الشعراء، وقد اشتهر من هؤلاء النابغة الذبياني (ت نحو ١٨ ق هـ) الشاعر المعروف.

فقد ذكر ابن قتيبة أن النابغة كانت "تضرب له قبةٌ حمراء من أدمٍ بسوق عكاظٍ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، فأنشده الأعشى أبو بصيرٍ(ت ٧هـ)، ثم أنشده حسان بن ثابت (ت ٥٤هـ)، ثم الشعراء، ثم جاءت الخنساء السلمية(ت ٢٤هـ) فأنشدته، فقال لها النابغة: والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفًا لقلت إنك أشعر الجن والإنس، فقال حسان: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك! فقبض النابغة على يده، ثم قال: يا ابن أخي، إنك لا تحسن أن تقول مثل قولي:

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذِي هو مُدْرِكي وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ واسِعُ[2]

وذكر أبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني رواية أخرى جاء فيها: "فقال حسان: أنا والله أشعر منك ومنها. قال: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول:

لنا الجفناتُ الغُرّ يَلمَعْنَ بالضُّحى وأسيافنا يَقْطُرْنَ من نجدةٍ دَمَا

وَلدنا بني العنقاء وابني مُحرقٍ فأكرمْ بِنا خالاً وأكرمْ بِنا ابْنَمَا[3]

---

١ - المرجع نفسه، ٧٣.

٢ - عكاظ: قرية بين نخلة والطائف، كانت تقوم فيها سوق أدبية هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يومًا، قال الليث: سميت عكاظًا لأن العرب كانت تجتمع فيها فيعكظ بعضهم بالمفاخرة أي يدعك (لسان العرب، مادة عكظ).

٣ - الشعر والشعراء، ١٦٠. وانظر: الأغاني: ١١: ٧.

٤ - العنقاء: هو ثعلبة بن عمرو بن مزيقياء بن عامر بن ماء السماء، ومحرق: وهو الحارث بن عمرو بن مزيقياء، وكان أول من عاقب بالنار. وقوله(فأكرم بنا خالاً) أسلوب تعجب أي ما أكرمنا خالاً وأكرمنا ابنا!

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

فقال: إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. وفي رواية أخرى: فقال له: إنك قلت "الجفنات" فقللت العدد ولو قلت "الجفان" لكان أكثر. وقلت "يلمعن في الضحى" ولو قلت "يبرقن بالدجى"، لكان أبلغ في المديح؛ لأن الضيف بالليل أكثر طروقًا. وقلت: "يقطرن من نجدة دمًا" فدللت على قلة القتلى ولو قلت "يجرين" لكان أكثر لانصباب الدم. وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. فقام حسان منكسرًا منقطعًا"[1].

وروي أن النابغة عاب أيضًا وصف حسان للجفنات بكلمة (الغر) فقال: لو قال مكانها (البيض) لكان أنسب (لأن الغرة بياض قليل يختلط بغيره من الألوان). وعاب أيضًا كلمة (الضحى) وقال: لو أنه قال (الدجى) لكان أنسب؛ (لأن الضيف أكثر ما يكون طروقًا بالليل لا بالنهار) ولو قال: (يجرين) بدلًا من (يقطرن) لكان أدعى للشجاعة؛ (لأن كلمة يقطرن تدل على أنّ نيلهم من أعدائهم ضعيف محدود)[2].

تحليل الخبر:

- إنّ من يمارس النشاط النقدي في هذا النموذج هو النابغة الذبياني وهو شاعر كبير، وقد احتل منزلة رفيعة بين الشعراء إذ كانت تضرب له قبة حمراء بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء ليحكم بينهم.
- إن شاعرًا كبيرًا مثل الأعشى يقف بين يدي النابغة وينشده شعره مما يؤكد منزلة النابغة الذبياني العالية بين الشعراء.
- عقب الصولي على نقد النابغة لحسان بقوله :"فانظر إلى هذا النقد الجليل الذي يدل عليه نقاء كلام النابغة، وديباجة شعره، قال له: أقللت أسيافك لأنه قال: "وأسيافنا" وأسياف: جمع لأدنى العدد، الكثير"سيوف" و"الجفنات" لأدنى العدد، والكثير

---

[1] - الأغاني، ٩ : ٢٥٢.

[2] - انظر: الموشح : ٦٠ - ٦١. وانظر :النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، ٧٦.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

جفان". وقال فخرت بمن ولدت؛ لأنه قال: ولدنا بني العنقاء وابني محرق، فترك الفخر بآبائه وفخر بمن ولد نساؤه"[1]. وهو نقد ينم عن معرفة دقيقة بأسرار اللغة وبمفهوم الشعر، وما يتصل بها من أعراف وتقاليد، فمن عادة العرب الفخر بالآباء والأجداد لا بالأبناء والأحفاد. وينم عن ذوق مدرب وخبير بالتجربة الشعرية، ويكشف عن إحساس نقدي عميق. وهو نقد يشير إلى "إدراك العلاقة بين اللفظ والمعنى من ناحية، ثم بين اللفظ والسياق الذي يرد فيه من ناحية أخرى"[2].

- قوله للخنساء: "والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفًا لقلت إنك أشعر الجن والإنس..."يدل على طبيعة النقد في العصر الجاهلي، فهي أحكام مطلقة وشاملة (الجن والإنس)، ويدل على أن أحكامهم كانت ذوقية وفطرية وتأثرية؛ فعندما أنشده الأعشى عدّه أشعر الشعراء، وعندما أنشدته الخنساء عدّها أشعر الجن والإنس غير أنّ الأعشى سبقها بالإنشاد وهذا يدل على جانب كبير من الذاتية.

- اعتراض حسان على حكم النابغة يشير إلى شدة اعتزاز حسان بنفسه وثقته بشعره، ويشير من ناحية ثانية إلى سمة أساسية في الشعر هي قبوله لتعدد القراءات وانفتاحه على التأويل، فالنابغة قرأ شعر حسان بطريقة، وحسان قرأ شعره بطريقة أخرى، أي أنه من الممكن قراءة بيتي حسان بطريقة تختلف عن طريقة النابغة، وتعيد لهما شعريتهما، غير أنّ ذلك لا يعيب ما ذهب إليه النابغة.

- إن قول النابغة لحسان: إنك لا تحسن أن تقول مثل قولي:

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذِي هو مُدْرِكي وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأى عَنْكَ واسِعُ

يشير إلى تنبه النابغة الفطري والذوقي والفني إلى أهمية الصورة التشبيهية في الشعر وأنها عمود أساسيّ من أعمدته.

---

[1] - الموشح، ٦٠-٦١.

[2] - جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، ٢٥.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

ـ تتمثل في هذا الخبر سمات النقد الجاهلي: الموازنة بين الشعراء، وإصدار الأحكام العامة الشاملة، والمرتجلة، والموجزة، والتأثر الفطري النابع من ذوق مدرب أصيل، وذكر شيء من التعليل، والتأثر بالثقافة والأعراف والعادات، والتركيز على المواءمة بين الألفاظ والأغراض الشعرية وبين الألفاظ والمعاني. وهي في مجملها تشكل صورة الفكر النقدي في العصر الجاهلي.

وقد رفض عدد من الدارسين بعض الإضافات في هذه الرواية؛ لأنّها تحتوي حسب رأيهم على لمحات لغوية دقيقة لم يكن يعرفها الجاهليون مثل عدد القلة والكثرة، وهي اعتراضات لا تقلل من شأن دلالة الرواية أو صحة معظمها[2].

ورأى بعض الدارسين أن هذا اللون من النقد حدد مبدأ رئيسًا من مبادئ النقد، "هو أن على الشاعر ألا يصدر عن طبعه، وإنما عن مُثُلِه، سواء أكان هذا المثل مطابقًا لطبعه أم لم يكن، وربما كان هذا أخطر ما أورثته هذه القبة لتاريخ النقد العربي، إذ أنكرت مبدأ الصدق الذي يلزم الشاعر بالصدور عن مشاعره لا عن مشاعر غيره"[3].

النماذج النقدية الشعرية:

وفي الشعر الجاهلي نماذج شعرية تناولت جانبًا من جوانب الفن الشعري، وهي نمط من أنماط ممارسة النقد في العصر الجاهلي التي تندرج ضمن الاتجاه الفني، من ذلك قول امرئ القيس[4]:

أذودُ القوافيَ عنّي ذِيادًا ... ذيادَ غُلامٍ جَريء جَـرادا
فَلَمّا كَثُرْنَ وعَنَّيْنَـه ... تَخَيَّرَ مِنْهُنَّ شتى جِيـادا

---

1 ـ انظر: طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ٢٤ـ٢٥.
2 ـ عصام قصبجي: أصول النقد العربي القديم، ٨.
3 ـ ديوان امرئ القيس، ٩٠. وتنسب هذه الأبيات لغير امرئ القيس بن حجر، انظر: ابن رشيق القيرواني: العمدة، ١: ٢٠٠.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

فأعزل مَرْجانَها جانِبًا وآخُذُ من دُرِّها المُسْتَجادا

فامرؤ القيس يشير إلى عملية النقد الذاتي التي يمارسها على شعره، فهو يتحدث عن الاختيار والتنقيح وهما مرحلة من مراحل تأليف القصيدة .

وهذا كعب بن زهير(ت ٢٦هـ) وهو من مدرسة الشعر المحكك في الجاهلية وما عرف بمدرسة عبيد الشعر، يقول[1]:

فمن للقوافي شانها من يحوكها إذا ما ثوى كعب وفوّز جرول[2]

نقول فلا نعيا بشيء نقوله ومن قائليها من يسيء ويجمل

نثقفها حتى تلين متونها فيقصر عنها كل يتمثل[3]

كفيتك لا تلقى من الناس شاعرًا تنخّل منها مثل ما تتنخل[4]

فهو يؤكد أيضًا أهمية التنقيح والاختيار والتثقيف، وأنه لا يقبل كل ما ينثال على لسانه. فالتنقيح مذهب أصيل في الشعر الجاهلي، يصدر عن موقف نقدي يقتضي هذا التثقيف.

ب- النقد اللغوي:

يتناول النقد اللغوي الأخطاء اللغوية التي يقع فيها الشعراء، من حيث استعمال اللغة على غير ما وضعت له في الأصل. فقد رصد الجاهليون استعمالات الشعراء للغة وعابوا عليهم خروجهم عن الأعراف والأصول في استعمالاتها. ومن نماذج هذا النقد ما ذكره

١- انظر: محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ١٠٤-١٠٥ ،(مع ملاحظة بعض التغيير والتبديل في الألفاظ وتقديم وتأخير بعض الأبيات).

٢- شانها: جاءها شائنة أي معيبة. ثوى وفوز: مات. جرول: اسم الحطيئة الشاعر.

٣- يتمثل : يضرب مثلا ، يقال تمثل هذا البيت وتمثل به.

٤- تنخل : اصطفى واختار وانتخب.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) في أثناء ترجمته للشاعر المتلمس (ت نحو ٥٠ ق هـ)، أنّه: "ممّا يُعاب من شعره قوله:

وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره بناجٍ عليه الصيعريّة مُكدِم[1]

والصيعرية سمة للنوق لا للفحول فجعلها لفحل، وسمعه طَرَفَة (ت نحو ٦٠ ق هـ) وهو صبيّ ينشد هذا فقال: استنوق الجمل. فضحك الناس وسارت مثلاً"[2].

تحليل الخبر:

- تولى النشاط النقدي في هذا الخبر صبيّ نابه وقد أصبح فيما بعد شاعرًا فحلًا.
- تركز النقد على خطأ لغويّ في استعمال كلمة الصيعريّة، وخروج الشاعر عن العرف اللغويّ في استعمالها.
- لم يقبل المتلقي (طرفة) خروج الشاعر عن العرف اللغويّ، ولم يعطه حرية التصرف باللغة، فللّغة أصولها التي يجب أن تراعى وتحترم.

ومهما يكن من أمر الأشعار التي نسبت للمتلمس وفيما إذا كانت للمسيب بن علس أو لعمرو بن كلثوم (ت نحو ٤٠ ق هـ) كما ذكرت بعض المصادر، "ففيها دلالة على حساسية العربي في استعمال الكلمة، وأنها متى خرجت عن أصل وضعها، وأبعدت عن دلالتها اللائقة بها خدشت أذنه.. فقد أدرك (طرفة) أنّ الشاعر الذي قال هذا القول قد أخطأ لأنّه وصف الجمل بوصف اختص بالناقة.."فالصيعرية" سمة في عنق الناقة خاصة"[3].

ومن النقد اللغوي ما عابه قيس بن معدي كرب(ت نحو ٢٠ ق هـ)، على الأعشى عندما أنشد مديحًا له قال فيه:

١- المكدم: الصلب القوي.
٢- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٧٤-٧٥. وانظر: الموشح، ٨٧.
٣- النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، ٥٧.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

ونُبئتُ قيسًا ولم آتـه وقد زعموا سادَ أهلَ اليمن

ولما علم أنّ قيسًا استنكر ذلك عليه جعله:

ونبئتُ قيسًا ولم آتـه على نأيه سادَ أهل اليمن[1]

فالمتلقي (الممدوح) لم يقبل من الشاعر كلمة (زعموا)؛ لأن الزعم عند العرب مظنة الكذب وعدم اليقين، مما يشير إلى حساسية العربي تجاه الألفاظ ودلالاتها، فقد انصاع الشاعر إلى هذه الملاحظة فعدّل البيت الشعري. ومما عيب من معاني الأعشى قوله:

فرميتُ غفلة عينه عن شاته فأصبتُ حبة قلبها وطحالها

"وقد عابه قوم بذلك لأنهم رأوا ذكر القلب والفؤاد والكبد يتردد كثيرًا في الشعر عند ذكر الهوى والمحبة والشوق، وما يجده المغرم في هذه الأعضاء من الحرارة والكرب، ولم يجدوا الطحال استعمل في هذه الحال، إذ لا صنع له فيها، ولا هو مما يكتسب حرارة وحركة في حزن ولا عشق، ولا بردًا وسكونًا في فرح أو ظفر فاستهجنوا ذكره"[2].

ففي هذا النقد دليل على شدة اعتناء العربي بالتلاؤم بين الكلمة ودلالتها الأصلية أو ما وضعت له، فإذا خرج الشاعر عن أصل الوضع عد عيبًا، وفيه دليل على شدة اعتنائه بالتماسك والانسجام في النص، بالإضافة إلى احترام الأعراف والتقاليد اللغوية، وهذا النوع من النقد يكتفي باللمح والإشارة ويبتعد عن التفصيل والإطالة. وهكذا فإنّ معظم اللمحات النقدية كانت مركزة حول الصيغ اللغوية، وإمكاناتها التعبيرية، ومدى نجاح الشاعر أو إخفاقه في استخدامها[3].

١- الموشح، ٥٦.
٢- المصدر نفسه، ٧٥-٧٦.
٣- انظر: جدلية الإفراد والتركيب، ٣٠٣.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

ج. النقد العروضي :

يتعلق النقد العروضي بما يعتري العروض والقافية من عيوب. والمتتبع للنشاط النقدي في العصر الجاهلي يجد أن النقاد أشاروا إلى هذا الموضوع بطرق مختلفة. والملاحظ أنّ استقرار القصيدة العربية الجاهلية من حيثُ الوزن والالتزام بالتقفية والتصريع يشير إلى نقد ضمنيّ كان يوجّه الإنتاج الأدبي سواء كان ذلك من قِبَل الشاعر نفسه أو المتلقي؛ لأنّ الوزن والقافية من الأصول الفنية في الشعر الجاهلي التي لا يجوز الخروج عنها.

أما النماذج النقدية الصريحة التي وصلت إلينا عن الجاهليين فيما يخص العروض والقافية فهي قليلة، منها: ما ذكره محمد بن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء، في أثناء حديثه عن الطبقة الأولى: "ولم يقوِ من هذه الطبقة ولا من أشباههم إلا النابغة في بيتين[1]، قوله :

أمن آل ميّة رائحٌ أو مغتدِ ... عجلانَ، ذا زاد وغيرَ مُزوّدِ[2]

زعمَ البوارحُ أنّ رحلتنا غدًا ... وبذاك خبّرنا الغداف الأسودُ[3]

وقوله:

سقطَ النّصيفُ ولم تُردْ إسقاطَهُ ... فتناولَتْهُ واتقتنا باليدِ(٤)

---

١ - يقوي: الإقواء: اختلاف حركة الروي.

٢ - الرواح: وهو من لدن زوال الشمس إلى الليل. الغدو: بين صلاة الغدا إلى طلوع الشمس.ينعى على عجلان يختطف النظر إليهم، فإما تزود من مية نظرة أو سلاماً، وإما رجع بلا زاد منها. (انظر هامش المحقق : طبقات فحول الشعراء، ٦٧).

٣ - البوارح جمع بارح: وهو من الظباء والطير والوحش ما يمر عن يمينك إلى يسارك، وبعض العرب يتطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف. أما السانح: فبعضهم يتيمن به، فإنه يمر بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك، فهو أمكن للرمي والصيد. هكذا زجرهم. والغداف: الغراب الضخم الوافر الجناحين، أسود حالك. (انظر هامش المحقق: طبقات فحول الشعراء ، ٦٧).

٤ - النصيف : ثوب تتجلل به المرأة فوق ثيابها.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

بمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كأنَّ بَنَانَهُ عَنَمٌ يكادُ من اللطافةِ يُعقدُ[1]

... فقدم المدينة، فعيب ذلك عليه، فلم يأبه لهما، حتى أسمعوه إيّاه في غناءٍ... فقالوا للجارية: إذا صرت إلى القافية فرتلي[2]. فلما قالت: "الغدافُ الأسودُ" و"يعقدُ" و"باليدِ" علم وانتبه، فلم يعد فيه. وقال: قدمت الحجاز وفي شعري ضَعَة، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس"[3].

تحليل الخبر:

- قرر ابن سلام أنّه لم يقوِ من الطبقة الأولى من الشعراء وهم امرؤ القيس، والنابغة، وزهير، والأعشى إلا النابغة. والإقواء اختلاف حركة الروي، وهو عيب يعتري القافية عندهم.
- لم يفطن النابغة إلى وقوع أبياته في الإقواء، ولم يأبه لهذا العيب أو لخطورته إلا بعد أن سمع الأبيات مرتلة.
- أسرع النابغة إلى تصويب الخطأ واعترف بأنّه كان في شعره ضعة، وقد أصلح الإقواء في البيت الأول فجعله :

زعم البوارح أنّ رحلتنا غدًا وبذاك تنعابُ الغرابِ الأسودِ

وأصلح البيت الآخر فجعله:

بمخضّبٍ رخص كأنّ بنانَه عَنَمٌ على أغصانِه لم يعقدِ

---

[1] - بمخضب : يعني كفها ، قد خضبت بالحناء، وذلك من زينة النساء، وذكر الصفة وقد أراد العضو. وهو كثير في كلامهم. ورخص: ناعم البشرة رقيقها لين المس. العنم : نبت أحمر يصبغ به.(انظر: طبقات فحول الشعراء ، ٦٨).

[2] - الترتيل : إبانة المنطق والتمهيل فيه والترسل بلا إسراف.

[3] - طبقات فحول الشعراء ، ٦٧ - ٦٨ . وانظر: الأغاني ١١: ٩.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

- على الرغم من عدم معرفة الجاهليين بعلم العروض، إلا أنهم ميزوا الإيقاعات والأوزان الشعرية وأنماطها بالسليقة والذوق المدرب.

- استوى الشعر الجاهلي في مثل هذه البيئة النقدية، التي كانت تواكبه وترعاه. وفي ضوء هذا التذوق الجمالي المرهف لموسيقى الشعر، فقد ميّزوا بين الأنغام المنسجمة والمتنافرة في أشعارهم.

وثمة خبر آخر ذكره ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء)، هو قول أبي عمرو بن العلاء: "فحلان من الشعراء كانا يقويان النابغة وبشر بن أبي خازم، فأمّا النابغة فدخل يثرب فغنى بشعره ففطن فلم يعد للإقواء. وأما بشر (بن أبي خازم) فقال له أخوه سوادة إنك تقوي. قال: وما الإقواء؟ قال: قولك:

ألم ترَ أنّ طولَ الدهرِ يُبلي ... ويُنسي مثل ما نُسِيتْ جُذامُ

ثم قلتَ:

وكانوا قومَنا فبغوا علينا ... فسقناهم إلى البلدِ الشآمِ

فلم يعد للإقواء"[1].

تحليل الخبر:

- لم يفطن بشر بن أبي خازم للخطأ الموسيقي الذي وقع فيه.
- لم يعرف دلالة المصطلح (الإقواء) إلا من خلال المثال، ممّا يشير إلى أنّ المصطلح لم يكن ذائعًا.
- أدرك بشر الخطأ بعد أن نُبِّه عليه.

---

[1] - الشعر والشعراء، ١٢١.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

ـ صدر النشاط النقدي عن أحد أفراد المجتمع، وهو يتمتع بذائقة موسيقية وسليقة فنية أصيلة في النغمات الموسيقية الشعرية.

وأشار الشعراء أنفسهم إلى علاقة الغناء بالشعر ودعوا إلى الترنم والغناء لأنه مضماره، وفي هذا يقول حسان بن ثابت:

تغنَّ بالشعرِ إمّا كنتَ قائلَه ... إنّ الغناءَ لهذا الشعرِ مضمارُ[1]

خصائص النقد الجاهلي:

بدا واضحًا مما سبق أنّ النقد الجاهلي نقد "موجز، مركز، يتسم بالارتجال، والذاتية التي لا تبعد أحيانًا عن الموضوعية.. ولا ينفي هذا أن يتصور الناقد القصيدة ككل، ويحكم عليها حكمًا عامًا"[2]. ولم يكن النقد مستقلا، وإنما كان يدور في محيط الشعر، في صورة أفكار وملاحظات[3]. وهي ملاحظات تدل على وعي نقديّ حمل سمات التجربة الإبداعية الشعرية، بما تحمل من سمات الحياة البدوية من سهولة ووضوح وبعد عن التعقيد وقرب الخيال. فالطابع العام للنقد في العصر الجاهلي يختص بما يأتي:

١ـ التعميم في الأحكام:

اتسمت أحكام الجاهليين النقدية بالتعميم وقد تجلى هذا التعميم من خلال عدّة مظاهر منها:

ـ تلقيب بعض الشعراء بألقاب تتصل بفنّهم الشعري بصورة عامة مثل المهلهل والمحبر والنابغة والمرقش وعبيد الشعر[4].

---

[1] ـ انظر: العمدة، ٢: ٣١٣.

[2] ـ النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، ٧٣.

[3] ـ النقد الأدبي عند العرب، الخطوات الأولى، ٤٥.

[4] ـ انظر: الشعر والشعراء، ١٣٤، ١١٤، ٨٩، ٧٤، ٧٠، ٢٢٢، ١٩٢، ١٩٠، ١٤١. وفحولة الشعراء، ١٠.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

ـ اختيار بعض القصائد المشهورة وإطلاق أسماء عليها مثل: المعلقات و البتارة واليتيمة والمُذْهَبَة.

ـ تفضيل شاعر على آخر أو قصيدة على أخرى. كحكومة أم جندب بين امرئ القيس وعلقمة الفحل، وتفضيل النابغة الأعشى على جميع من كان في سوق عكاظ.

ـ نقد معنى من المعاني أو لفظ من الألفاظ وإطلاق حكم عام على القصيدة من خلال نقد جزئية فيها، كعبارة طرفة "استنوق الجمل".

٢ـ الذوق الفطري:

لم يكن النقد الجاهلي مبنيًّا على قواعد فنية ثابتة، ولا على ذوق منظم ناضج وإنما صدرت الأحكام النقدية متسمة بالذوق الفطري الذي يعتمد على إحساس الناقد المباشر بالمعنى أو الفكرة ولذلك فهو لمحة الخاطر والبديهة الحاضرة يدل على ذوق بدائي[١]. ورأى بعض الدارسين في هذا الذوق أنه ذوق فني، فملكة النقد عند الجاهليين "الذوق الفني المحض، فأمّا الفكر وما ينبعث عنه من التحليل والاستنباط فذلك شيء غير موجود عندهم"[٢]، فهذا النقد يمثل المرحلة الحسيّة من مراحل النقد الأدبي.

ويتجلى الذوق في جميع النماذج النقدية الجاهلية، وقد أدى التذوق المطلق إلى البعد عن التحليل والتماس العلل، وأدى إلى سيادة التأثر الذاتي والانطباع الفطري. إلا أننا لاحظنا من خلال استقراء النماذج النقدية الجاهلية لمحات نقدية بسيطة، تتجه نحو تعليل الأحكام لكنها لا تشكل اتجاهًا واضحًا عندهم. وسواء أكان الذوق عندهم فطريًا ساذجًا أم فنيًا، فإن الذوق الفردي والاجتماعي كان عمدة النقد الأدبي ومقياسه الأول وإليه مردّ القضايا والأحكام في تقدير الأدب وبيان درجته الفنية[٣].

---

١ ـ انظر: أحمد أمين: النقد الأدبي، ٤٤٨ـ ٤٤٩ . والنقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، ٨٢.

٢ ـ طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ٢٤.

٣ ـ انظر: أصول النقد الأدبي، ١١٤.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com

٣ ـ الارتجال في الأحكام:

لقد ترتب على النقد الذوقي الفطري الارتجال في الأحكام، فما أن يستمع الناقد إلى القصيدة متذوقًا إياها حتى يصدر حكمه عليها بالإعجاب أو الاستهجان، أو أن يشير إلى خطأ لغوي هنا أو هناك في ثنايا القصيدة أو إلى مخالفة عرف من الأعراف أو معنى من المعاني، أو خلل في الوزن أو القافية.

٤ ـ الإيجاز والاقتضاب:

تتصف معظم النماذج النقدية الجاهلية بالإيجاز والتركيز، وتكتفي باللمحة السريعة والعبارة المقتضبة. فالأحكام التي أصدرها ربيعة بن حذار الأسدي على شعر الشعراء الأربعة الذين تحاكموا إليه جاءت في عبارات شديدة الإيجاز والاقتضاب، من مثل قوله لأحدهم[١]: "أما أنت فشعرك كلحم أسخن، لا هو أنضج فأكل، ولا ترك نيئًا فينتفع به"، وقوله لآخر: "وأما أنت فشعرك كبرود حبر يتلألأ فيها البصر، فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر"، وكقوله: "وأمّا أنت فشعرك كمزادة أحكم حرزها، فليس تقطر ولا تمطر"، وكقولهم: "أنت أشعر من في السوق"، فهذه كلها عبارات شديدة الإيجاز والتركيز وقد أتت بصورة تشبيهات تألفها البيئة الجاهلية.

٥ ـ **العجز عن تحديد خصائص الجودة وتعليلها**، الأمر الذي جعلهم يعتمدون في أحكامهم على عناصر خارج النص الشعري. فقد عللت أم جندب حكمها بأمور لا تتعلق بالنص وإنما بأعراف ومواضعات اجتماعية. وكذلك فعل النابغة الذبياني في نقده شعر حسان.

---

١ ـ انظر: الموشح، ٧٥.

Uploaded By: anonymous
STUDENTS-HUB.com